حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب الديوبندي

HAKEEM UL ISLAM QARI MUHAMMAD TAYYAB DEOBAND

السيدة فاطمة الزهراء*

ABSTRACT:

Since the advent of Islam India has been proving to be cradle of outstanding personalities in different fields of Islam and Arabic language & Literature. The Arabs who came to India did not forget their language and literature, and after their arrival to India they found it a fertile land for Arabic poetry also. So they composed poems as well as they up brought some great poets of Arabic who found place in the famous collections of Arabic poetry. As regards the field of Islamic Studies India became the second great centre of Islam and its sciences.

There are numerous cities and districts in India which produced persona of their fields who excelled in different branches of Islamic Studies like Shah Waliullah of Delhi and his sons and grandsons, Allamah Siddique Hasan Khan and his followers, Maulana Qasim Nanautawi, Allamah Faizul Hasan Saharanpuri and his students, and Shibli Numani and his pupils. Being a great centre of Islamic sciences Deoband also produced several personalities in this field the most famous among them was Hakim Qari Muhammad Tayyib Deobandi. He wrote several books on Islamic Studies and contributed a lot to the progress and development of Darul Ulum of Deoband. The coming article is a simple attempt to highlight his services and to introduce him among the readers of the Journal.

KEYWORDS: Darul Ulum, Deoband, Qari Muhammad Tayyib,Scholars

الكلمات المفتاحية: دار العلوم ، ديوبند ،قاري محمد الطيب ، علماء

الملخص:

لقد برز في الهند شخصيات جبارة في مختلف مجالات العلم والفن فالعلامة الشاه ولي الله الدهلوي وأولاده وأحفاد العلامة تراب علي وأشياعه والعلامة صديق حسن خان وأولاده وأحفاده والعلامة شبلي النعماني وتلامذته والإمام عبد الحميد الفراهي وأتباعه والعلامة عبد الحي الحسني وولده أبو الحسن علي

* كاتبة ومترجمة من مديرية أعظم كره، الهند

الحسني الندوي والشيخ عنايت رسول وعلماء تشرياكوت وآخرون غيرهم ممن تعتز بهم الهند وتفتخر بنبوغهم وبراعتهم في مختلف مجالات العلم والأدب والفن.

ومن بين هؤلاء الرجال الكبار العظام الشيخ حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب الديوبندي. وديوبند مدينة علمية خصبة فقد أنجبت هذه المدينة العديد من علماء الإسلام وأدبائه وشعرائه وفوق تلك مدرسته "دار العلوم" هي كمثل جامعة إسلامية لا تبلغ شأوها الجامعات الإسلامية في الهند ولا في خارجها. فمعظم من يسمّي نفسه بالديوبندي إما ينتمي إلى مدينة ديوبند أو تخرّج من هذه الجامعة الإسلامية. وعددهم غير قليل. وحيثما ذهبوا أناروا شعلة العلم والفن والأدب.

هذه المقالة تلقي ضوءًا خاطفًا على حياة وخدمات هذه الشخصية الديوبندية العملاقة.

مدخل في الموضوع:

أنجبت الهند رجالًا بارزين ومشايخ كبارًا خلفوا مآثر ومحامد في مختلف المجالات والميادين فالشيخ الشاه ولي الله الدهلوي (1702-1762م) والشيخ فضل حق الخيرابادي (1797-1861م) والشيخ فيض الحسن السهارنفوري (1816-1887م) والشيخ بركة الله البهوفالي (1858-1927م) مسلمون هنود خلدت أسمائهم في صفحات التاريخ الإسلامي الهندي بفضل جهودهم المضنية في سبيل نشر الإسلام وعلوم أتباعه في بلاد الهند وخارجها. والشيخ محمد طيب الصديقي الديوبندي (1897– 17من يوليو1983م) أحد منهم فهو أحيى الإسلام في دياره كما ريّ العلوم والآداب والفنون في منطقته. إن خدماته جليلة إلى حد لا ينساها مؤرخ إسلامي في الهند أو في غيرها من البلاد. وفيما يلي لمحة عن سيرته ودراسة موجزة لأعماله ومآثره القيمة:

حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب الديوبندي، حياته وأعماله:

نسبه وميزته العائلية: تنتهي شجرة نسبه إلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقد غادر بعض آبائه الشيخ محمد هاشم الصديقي منطقته في عهد الملك المغولي شاه جهان رحمه الله ونزل ب"نانوته" وأقام بها فأعطاه الملك العقارات وأجازه بالقيام بها. ينتمي إليه معظم عائلات صديقية في تلك المنطقة. شجرة نسبه هكذا:

محمد طيب بن الحافظ محمد أحمد بن محمد قاسم بن أسد علي بن غلام شاه بن محمد بخش بن علاء الدين بن فتح محمد بن محمد نقي بن عبد السميع بن محمد هاشم.

كانت تقيم هذه العائلة بنانوته ولكن عندما تولّى جد محمد طيب الشيخ محمد قاسم النانوتوي زمام

مسئولية دار العلوم بديوبند ارتحل إليها وأقام بها وذلك لأن والده كان ابنًا وحيدًا لوالده وكلاهما تزوج بها فولد حكيم الإسلام بـ"ديوان" ونشأ وترعرع بها.

لم يكن لهذه العائلة أي صيت ذائع وذكر جميل قبل جده الشيخ قاسم النانوتوي فهو الذي شاع ذكره في الآفاق لمجرد علومه وجهاده لاستقلال الهند في 1857م. إنه بذل نفسه ونفيسه في هذين الأمرين الجليلين فطوّر المدرسة الإسلامية التي بناها الحاج عابد حسين ثم بذل قصارى جهوده الجبارة للدفاع عن الإسلام والمسلمين الذين كانوا قد عانوا من اعتراضات وشبه من قبل اليهود والنصارى. لعبت هذه المدرسة دورًا بارزًا في نشر الثقافة الإسلامية في الهند وخارجها. ثم رقيّ المدرسة في حياة ولده الشيخ محمد أحمد الذي جعلها دارًا للعلوم كما نال لقب "شمس العلماء" من قبل الحكومة، الذي رجعه بعد مشورة علماء الدار. وعندما جاء عهد شيخ الإسلام أصبحت هذه الدار العلمية مضاهية بجامعة الأزهر. فكأن المدرسة التي بناها عالم مخلص أصبحت بفضل جهود عائلته جامعة إسلامية.

مولده وتربيته: ولد الشيخ في 1315هـ/1897م وسمّاه أهل عشيرته "مظفر الدين" و"خورشيد قاسم" اسمًا تاريخيًا. وبما أن مولده كان قد جاء مؤخرًا وبعد مدة طويلة وانتظار شديد بحيث قد مات ثلاثة إخوته في صغر سنّهم على التوالي. وكان مولده سببًا لدعاء أحد المشايخ المستجابة دعوتهم وهو الذي قد نبّأ عن كونه ولدًا ذكرًا وحافظًا للقرآن ومقريًا ومقتدى للناس وعالما كبيرًا وحاجًّا لبيت الله الحرام.

بدأ يتعلّم عندما بلغ سنّ القراءة بيد الشيخ ذو الفقار الديوبندي في مجلس تم عقده في 1322هـ وحضره معه شيخ الهند محمود حسن الديوبندي والشيخ فضل الرحمن والمفتي عزيز الرحمن والشيخ حبيب الرحمن. جميعهم دعوا الله لكونه عالما كبيرًا وتقيًا صالحًا.

بدأ الشيخ دراسته بتحفيظ القرآن وتلاوته بالتجويد عند الحافظ والمقرئ عبد الوحيد الذي دعي من الله آباد وأقام في بيته معلّمًا إياه تلاوة القرآن وتجويده وتحفيظه. حفظ الشيخ القرآن في عمر يتجاوز اثني عشر عامًا في 1326هـ. كان قد وهبه الله صوتًا جهوريًا مع لحنه الخاص الذي أجبر الشيخ أشرف علي التهانوي على أن يقدّمه ليصلّي بالناس وهو حاضر يقتدي به.

دراسة اللغة الفارسية: بعدما أتم تلاوة القرآن وتحفيظه بدأ يتعلم اللغة الفارسية عند الشيخ محمد يسن أبي الشيخ المفتي محمد شفيع. كان الشيخ محمد يسن بارعًا في اللغة الفارسية ولذلك فقد تضلع، عنده، من هذه اللغة كما تعلم عليه بعض الكتب في تجويد القرآن والرياضيات والفن الأخير قد برع فيه على منشي منظور أحمد. وهو كان أيضًا أحد إخوة الشيخ محمد شفيع رحمه الله. وكان له اليد الطولى في الرياضيات. ومما يجدر بالذكر هنا أن الشيخ محمد شفيع هو من علّات الشيخ محمد طيّب فكلا العالمين

قد تزامنت دراستهما كما تزامنت ولادتهما. وكلاهما كان من كبار علماء زمانهما. وكذلك تلمذ كلاهما على الشيخ أشرف التهانوي في المجال الروحي.

وبفضل هذا العالم الكبير للفارسية قد حصل له المعرفة التامة بهذه اللغة فجعل يقول الشعر كما انطلق يكتب بها فلما زار أفغانستان على دعوة ملكها ألقى الخطب بهذه اللغة كما تحدث معهم فيها فتأثر أدباء أفغانستان وشعراؤها بعلمه الفائق بهذه اللغة.

معرفته للغة العربية وعلومها: بعدما أتم دراسة اللغة الفارسية التحق بدار العلوم، ديوبند في 1330هـ وحصل على اللغة العربية وعلومها على الأساتذة البارعين في الهند وتفصيل الكتب التي قرأها والأساتذة الذين تعلم عليهم فيما يلي:

أسماء الكتب	الأساتذة
1. صغرى وكبرى وبداية المرقات	العلامة شبير أحمد العثماني رحمه الله
2. المرقات وتهذيب وشرحه وقطبي ومير قطبي وسلم العلوم الملا حسن وسنن النسأي	العلامة البلياوي رحمه الله
3. حمد الله وقاضي مبارك وسنن ابن ماجة	الشيخ رسول خان رحمه الله
4. كافية	شيخ الهند محمود حسن رحمه الله
5. شرح جامي	الشيخ نبيه حسن رحمه الله
6. شرح الوقاية	الشيخ غلام محمد خان رحمه الله
7. الهداية (أولين) وشرح منيري وغيرهما	الشيخ غلام رسول رحمه الله
8. الهداية (أخيرين)	الشيخ إعزاز علي رحمه الله
9. مشكاة وصحيح مسلم	على والده الجليل رحمه الله
10. سنن أبو داؤود	الشيخ محمد ميان أصغر حسين رحمه الله

11. صحيح البخاري	الشيخ أنور شاه الكشميري رحمه الله

بعدما استفاد من هؤلاء الأساتذة الكبار تخرج من هذه الجامعة الإسلامية وجعل يفيد الناس من علمه الجم وعمله الصالح.

تعيينه كمدرّس: بعد ذلك تم تعيينه كمدرس في نفس الدار فجعل يعلّم الطلبة الكتب البدائية فعلّم "هداية النحو" و"القدوري" كما علّم غيرهما من الكتب الأخرى البدائية، وهذه هي من عادة المدارس والجامعات أن الأساتذة الجدد يعطون الفصول البدائية للتدريس لكي ينالوا التجربة التدريسية. ثم بعد مدة غير مديدة جعل يدرّس الكتب الأخرى العليا مثل "مشكاة المصابيح" حتى درّس "الجامع الصحيح للبخاري" عندما توفي الشيخ فخر الدين رحمه الله تعالى.

مما يتميز به الشيخ محمد طيب في مجال التدريس أنه كان يسهّل العلوم والفنون للطلبة فما كانوا يواجهون أي صعوبة في فهم الدروس واستخدامها وتطبيق الأصول في حياتهم اليومية. وكذلك لم تكن تنال محاضرته من عزة العلماء ولا من كرم الأئمة فكان يعظّمهم كثيرا كما كان يبجّلهم تكريما. إنه كان يسأل الطلبة أن ينتقدوا آرائه كما كان يطلب منهم أن يطالعوا ثم أن يسألوا عما صعب وأشكل عليهم من الأمور والقضايا العلمية فكانت الطلبة أحرارا في التعلم والتكلم.

كانت له رغبة شديدة في الكتاب العلمي الشهير في أسرار الشريعة "حجة الله البالغة" فكان يعلّمه بكل رغبة ونشاط حتى لم يفته تدريسه في كبر سنه، وهذا كما يدل على ولهه مع الشاه ولي الله وأعماله الرائعة على إمعان نظره في أسرار الشريعة وقدرته على فهمها وتفهيمها.

وكذلك كانت له نظرة ثاقبة فيما كتبه العلامة قاسم النانوتوي فهو كان يبيّن من مؤلفاته ما لم يستطع ببيانه أحد من الناس فكأن موته قد سبّب فراغا في ميدان العلم من هذه الجهة.

حدة ذهنه وسعة علمه: وبما أنه قد أعطي ذهنا حادا ثم أكثر دراسة الكتب العلمية من الأمهات والمصادر لاسيما الكتب التي تثير في الدارس قوة التفكير وتهدي إلى سبل استخراج الأسرار فقد بلغ ذهنه ما لم يبلغه غيره من العلماء والفضلاء وأعطى طلبة العلوم وعلماء الفنون ما لم يجدوه من غيره من مثل الكتب في علوم القرآن والحديث والفقه والعلوم الجديدة.

كان الشيخ يدرّس الأحاديث مثل أئمة الحديث فقد شهد من شهد تدريسه وبراعته فيه بمناسبة تدريس ختم الجامع الصحيح للبخاري. إنه بدأه من حديثه الأول ثم استمر واستمر حتى بلغ نهاية الجامع مشيرا إلى نظم الأبواب فيما بينها فكأن الكتاب كله منظم بعضه من بعض بنظم شديد بحيث يبطل المراد

ويفسد الهدف إذا حرفنا الأحاديث أو بدّلنا مواضعها. وهذا كله من جهود أستاذه العلامة أنور شاه الكشميري رحمه الله.

في ميدان التصوف: التصوف ليس إلا إصلاح الباطن وتطهير النفس وتزكيتها ومن طرقها العديدة "البيعة" فيقول الشيخ أبو بكر الغازيفوري مشيرا إلى مفهومها عند من يمارس هذه العملية:

"لا تهدف البيعة إلا إلى إصلاح النفس وباطن الإنسان وجعله طاهرا ومثقفا وذلك لأن نفس الإنسان تتدنس بمعايب عديدة من مثل التكبر والحرص والحسد والبغض والعداوة والعناد، تثير الفساد في الدنيا كما تبطل أخراه فالبيعة تهدف إلى كبح الأخلاق السيئة وتجلية الأخلاق الحسنة الخفية"[1]

ثم يقول عن عادة طلبة دار العلوم فيها:

"كان من عادة طلبة دار العلوم في ذلك الزمن إقامة العلاقة الروحية مع شيخ صالح ومن ثم إصلاح باطنه عن طريق تربيته"[2]

فبعدما تخرج الشيخ من دار العلوم بدأ ينال تربية روحية من شيخ الهند، رحمه الله، الذي قد رجع إلى الوطن من مالتا. ولكن من سوء الحظ أنه لم يوفّق حياة طويلة بعدها إذ فاجأه الموت بعدما قضى مدة ست سنوات فقط فبقي الشيخ الديوبندي محروما من تشرفه بالحصول التام على هذه الطريقة الروحية التي قد بدأها منذ قريب.

ثم تربى الشيخ على العلامة أنور شاه الكشميري الذي كان من خلفاء الشيخ الغنغوهي في هذا المجال. ولكنه لم يسنح له الفرصة الكاملة لقطع هذا الوادي إذ شدّ العلامة الكشميري رحاله إلى دهابيل فبقي الشيخ الديوبندي غير تام في هذا المجال مرة أخرى.

بينما كان الشيخ في البحث عن مرشد روحي كامل إذ توقف نظره على الشيخ أشرف علي التهانوي الذي كان يكرّمه كثيرا. اعتكف الشيخ في بيته وارتقى، بفضل تربيته، في كافة مراحل السلوك حتى شرّفه الحكيم التهانوي بالبيعة ثم بالخلافة فجعل الشيخ يصلح الناس وينوّر قلوبهم بالبركات الربانية.

إدارة دار العلوم: قام بإدارة هذه الدار عدد من رجال المسلمين الصالحين فالشيخ الحاج عابد حسين والشيخ رفيع الدين والشيخ حافظ أحمد والشيخ حبيب الرحمن العثماني والشيخ شبير أحمد العثماني رجال لا ينساهم التاريخ الهندي الإسلامي فقد أدّى هؤلاء مسئولياتهم خير أداء وقاموا بتقديم خدمات جليلة عن الدين وعن الوطن على السواء.

ففي البداية تم تعيينه كنائب مدير والده الكريم الشيخ حافظ أحمد بعدما أصابه المرض ولم يقدر على كبح الفتنة التي قد ثارت في زمنه ثم ناب مناب الشيخ العثماني، ولما توفي الشيخ حبيب الرحمن العثماني جعلته الهيئة مدير الدار، المنصب الذي تولاه لمدة نصف قرن تقريبا (حتى 1401هـ).

خلال هذه المدة الطويلة لإدارة الدار قام الشيخ بتطويرها من كل جانب فقام ببناء المباني الفخمة كما قام بتأسيس الكلية الطبية بها ومن ثم ازداد عدد الطلاب كما صعد عدد الأساتذة وهكذا طار، بفضله، صيت الدار في الآفاق كلها فزارها الطلبة من خارج الهند كما زارها الأساتذة والباحثون. فأعان كل منهم في تقدمها وبلوغها غايتها المنشودة.

كان لعادات الشيخ دور بارز في هذا العمل المبارك فقد وهبه الله صبرا جميلا ومصانعة مثالية فكان يسمع لكافة الشكاوى ويشكيها بكل اطمئنان وهدوء بال فهو الذي كبح الفتن الثائرة وهو الذي تحمل المحن الملمّة ولم يفتح شفتي شكواه ولا لسان الغضب. فقد صبر على هذه كلها لمجرد خير الدار ومن ثم خير المسلمين بأجمعهم.

لم يكن كذلك مع هيئة الأساتذة والموظفين فحسب بل كانت معاملته مع الطلبة معاملة الوالد مع أولاده بل حنان الأم لأطفالها فكان يشفق عليهم كما كان يحاول لتقدمهم ولزيادتهم علما وتقوى.

ميزاته وخصائصه: ولو كان الشيخ الديوبندي متصفا بخصائص جمة وميزات لا تحصى إلا أن بعض الخصائص قد أصبحت جزءا لا ينفك من شخصيته وهي تواضعه لذاته وحلمه وصبره على الأذى وخالص عبوديته وشفقته على الطلبة وتشجيعه للصغار فيكتب –مثلا– في كتاب رآه:

"قد غمرني السرور عندما سمعت عن المجلدين لكتاب "أنوار قاسمي". رأيت النسخة المبيضة والآن أنتظر الطباعة"[3].

ويقول عندما لم ينظر اسم المفتي ظفير الدين على "فتاوى دار العلوم" الذي قام بتدوينه:

"لابد من أن يذكر اسم من قام بتدوين "فتاوى دار العلوم" وذلك لأنه بذل جهود فهو يجدر بذكرها"[4]

مؤلفاته ورسائله: كان الشيخ محمد طيب مؤلفا محنكا كما كان عالما ربانيا فقد قام بتأليف عدد غير قليل من الكتب المهمة عن العلوم الدينية والقضايا المعاصرة. يقول المفتي محمد مشتاق التجاروي في عدد مؤلفات الشيخ محمد طيب:

"في هذه الحالة من الترحال في الآفاق قام الشيخ محمد طيب بتأليف مائة كتاب ما بين صغير وكبير،

يحتوي بعضها على بحوث لم يقدر على معالجتها إلا الشيخ رحمه الله"[5]

ويقول الشيخ أسير الأدروي عن أسلوب تأليفه وقيمة مؤلفاته:

"كان لسانه ينشر أزهار الألفاظ والمعاني وكان كلامه مملوءا بالروعة والغيرة مع السجع المناسب. وكان قد وفّق أسلوبا علميا خاصا كما حصلت له سعة المعرفة. اقرأ كتاباته تجد فيها شوبا من الفكرة ودررا من الحكمة ولآلي من الوعي الديني. وزد على ذلك سلاسة البيان ورواء الأدب".[6]

وفيما يلي ذكر موجز لبعض منها:

1. **اجتهاد وتقليد**: هذه القضية ليست ببديعة بالنسبة لنا ولمن يتعصب لمذهب واحد للفقه، والهند كذلك لم تكد تصون نفسها من هذه البلية فقد عاش فيها، منذ غابر العصر، فئتان متعصبتان في أفكارهما وآرائهما الدينية: فئة تقول بأن تقليد الأئمة لازم لرجل عادي بل لمن يجد فيه السعة والقدرة على فهم النصوص القرآن والأحاديث إلى حد بينما الفرقة الأخرى ترى أن التقليد لا يجوز لأحد حتى لرجل عادي فهي ترجح التفكير في تلك النصوص وحرية الاختيار لمذهب يراه المرجّح ولكل دلائل وبراهين تأخذ بناصيتها وتستدل بها. لم يمنع الشيخ الديوبندي ذاته من هذا الجدال فقد وقع فيه ولكن بأسلوب علمي جميل فرسالته هذه تأخذ تلك القضية بحيث يذكر هو أولا ما هو تقليد الأئمة ثم يمضي في بحوث أخرى حتى يكشف القناع عن ضرورة تقليد الأئمة. هذه الرسالة مهمة للغاية لمن يريد تقليد الأئمة أو رفضه.

2. **علم غيب**: وجدت في الهند فرقة تقابل التعاليم الموجودة في الأديان الأخرى فتدعي أن النبي الأمي محمدا صلى الله عليه وسلم يمتلك علم الغيب كما تدعي افرق الأخرى عن أنبيائهم ورسلهم. فنّد هذه الفكرة علماؤنا فقاموا بتأليف كتب قيمة عن هذا حتى بردت نارها والشيخ محمد طيب واحد منهم فهو ألّف هذا الكتيب في الرد على هذه الدعوى مثبتا أنه ليس للأنبياء صفة بهذا النوع من العلم بالغيب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم أيضا غير قادر على هذا العلم إلا القدر الذي علّمه الرب ذاته. أثبت الشيخ دعاويه بدلائل ثابتة من القرآن والحديث.

3. **إسلام كا أخلاقي نظام** (**المنهج الإسلامي الخلقي**): هذا الكتاب رد على سؤال راهب من روركي، كان يعتقد أن المنهج الخلقي للإسلام اسفل مما يوجد في الإنجيل الذي يمنع عن العادات السيئة بما فيها الزنى وكذلك طرح الراهب سؤالا عن زواج النبي من زينب زوجة متبناه

زيد رضي الله عنه فقد ارتكب ذنبا. ردّ الشيخ على هذين السؤالين في ضوء القرآن والسنة وتفاسير الصحابة رضي الله عنهم كما أثبت أن الصحف السماوية الأولى تم تحريفها. وفي النهاية ألقى الأضواء على القيم العليا المذكورة في القرآن الكريم والسنة الغراء. إن هذا الكتاب خير وسيلة للرد على اعتراضات اليهود والنصارى على الإسلام.

4. **حديث رسول كا قرآني معيار (مقياس القرآن لأحاديث الرسول)**: فتنة الإنكار بالأحاديث فتنة تم إثارتها من ولاية البنجاب ثم ازدادت هذه الفتنة ذياعا وانتشارا في الهند كلها حتى وجدت لها جماعة يكثر أتباعها يوما فيوما ونجد مؤلفاتهم مملوءة بالأقوال التافهة عن حقية الاستناد إليها وكثرة الأقوال المضادة والروايات التي لا سند لها ولا صلة مع العقول المثقفة. نظرا لهذه الفكرة الباطلة والثورة المنتشرة قام العلماء بالرد عليها وإخماد نارها فكتبوا مؤلفات كثيرة ورسائل لا تحصى. والشيخ محمد طيب أيضا شاركهم فيها فكتابه هذا حلقة من هذه السلسلة الذهبية. أثبت فيه الشيخ شدة استناد رواية الأحاديث وضرورتها في فهم القرآن ومبادئ الإسلام ثم قارنها من روايات التاريخ البشري الذي لا يتمتع من هذه الميزة كما ذكر مختلف أنواع الحديث من المتواتر والغريب وغيرهما. إن هذا الكتاب مهم للغاية في الموضوع.

5. **كلمة طيبة**: قد أثار بعض أعداء الإسلام الألداء اعتراضا على كلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" بأنها ليست عربية خالصة وأنها من مخترعات العجم ولذلك فلم يأت ذكرها في القرآن ولا في الأحاديث ولا في أقوال الصحابة رضي الله عنهم فقام الشيخ بالرد عليها وأثبت مجيء جزئيها في القرآن والأحاديث وأقوال الصحابة كما أشار إلى اتصال أحدهما بالآخر وذكر الأصول العربية الثابتة وأثبت كونها صادقة عليها. فهذه الرسالة قيمة للغاية من جهة الدين كما هي مهمة من جهة اللغة.

6. **التشبه في الإسلام**: هذا الكتاب شرح جميل لقوله صلى الله عليه وسلم: من تشبه بقوم فهو منهم" فقد ذكر الشيخ فيه حدود التشبه كما ذكر حدود الاختلاط والأضرار التي تلحق بقوم بعد التشبه المذكور في الحديث أعلاه. فقطع اللحية وما شابهه من الأمور والعادات داخل في التشبه بقوم كما أن التجارة وما شابهه من الأمور خارجة عنها. أثبت الشيخ في ضوء القرآن والأحاديث والتاريخ أن دمار قوم هو تشبهه من قوم ومن فعل ذلك فقد انمحى أثره من هذه البقعة المعمورة. إن هذه الرسالة لها قيمة علمية لاسيما في يومنا هذا فإن الشباب يقطع

اللحية أو يعفيها أو يبقي جزء منها لمجرد الآخرين لا لأن النبي الأمي قد سنّ ذلك.

7. **فلسفة نعمة ومصيبة:** هذه الرسالة ردّ على الشيوعية التي ترى أن النعمة أو النقمة هي لأجل التجارة ولا من الله الذي يفعل هذا لمجرد الامتحان. أفحمها الشيخ من جهتين–جهة النقل وجهة العقل فذكر الآيات القرآنية القائلة بفكرته كما أثب بالعقل اختلاف الغنى والفقر. إن هذه الرسالة شهادة للمؤلف على أنه عارف كبير للقرآن كما أن له اليد الطولى على الفلسفة والمنطق.

8. **آفتاب نبوت (شمس النبوة):** هذه خطبة ألقاها الشيخ كشرح للآية الربانية: داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا" ثم جمعها في صورة كتاب. إنه نموذج جميل أسلوبه السلس الجذاب ودليل قاطع على قدرته على الارتجال في الكلام عن الدين والكلام. إنه سيرة دعوية للنبي صلى الله عليه وسلّم.

9. **فطري حكومت:** هذا الكتاب المهم في جزأين. أولا ذكر فيه الشيخ حكومة الله الساذجة الفطرية وخصائصه وميزاته ثم ذكر أن الناس الذين هم من خلق الله وعباده ينبغي لهم أن يجعلوا حكومتهم متشابهة بحكومة خالقهم وربهم. ومعنى هذا الشبه بين الحكومتين أن حكومة الناس تكون هادئة وآمنة كما نجد في حكومة الرب جل مجده. فهي لا مملوءة بالحكمة فلا تواجه أي خلاف فيما بينها، فإدارة الحكومة طبقا لأوامر وإرشادات الرب شيء خالد وآمن.

وكذا ألّف "دعوت دين كى قرآني أصول" (منهج الدعوة القرآني) و"نسب أور إسلام" (النسب كما يراه الإسلام) و"تعليمات إسلام أور مسيحي إقدام" (التعاليم الإسلامية وإقدام النصرانية) و"إسرائيلي كتاب وسنت كي روشني مين" (بنو إسرائيل كما يراهم الكتاب والسنة) و"روايات الطيب" (روايات الطيب) و"مقامات مقدسة" (الأماكن المقدّسة) و"علماء ديوبند كا ديني رخ" (الجانب الديني في سير علماء ديوبند) و"مسلك ديوبند" (مذهب ديوبند) و"فلسفة نماز" (فلسفة الصلوة) و"شأن رسالت" (أمر الرسالة) و"شهيد كربلاء ويزيد" (شهيد كربلاء وأمر يزيد) و"إيك قرآن" (كتاب رباني وحيد).

خاتمة الكلام:

بدا من هذه الدراسة الوجيزة أن الحكيم المقرئ الشيخ محمد طيب الديوبندي كان من علماء دار العلوم بديوبند، الذين نشأوا وترعرعوا في بحبوحة العلم والأدب والفن، فنشأوا شبابًا بارعين وأدباء وكاتبين، ثم

جعل يخدم دار العلوم بديوبند فلم يأول أي جهد في خدمتها وتطويرها وتبليغها قمة العلم والصلاح. وبجانب هذه الجهود الجبارة فقد اعتنى هذا الشيخ الديوبندي بتأليف الكتب والرسائل العلمية في مختلف فروع العلم الإسلامي فألّف "اجتهاد وتقليد" (الاجتهاد والتقليد) و"علم غيب" (العلم بالغيب) و"إسلام كا أخلاقي نظام" (المنهج الخلقي للإسلام) و"حديث رسول كا قرآني معيار" (مقياس القرآن لأحاديث الرسول) و"كلمة طيبة" (الكلمة الطيبة) و"دعوت دين كى قرآني أصول" (منهج الدعوة القرآني) و"نسب أور إسلام" (النسب كما يراه الإسلام) و"تعليمات إسلام أور مسيحي إقدام" (التعاليم الإسلامية وإقدام النصرانية) و"إسرائيلي كتاب وسنت كي روشني مين" (بنو إسرائيل كما يراهم الكتاب والسنة) و"روايات الطيب" (روايات الطيب) و"علماء ديوبند كا ديني رخ" (الجانب الديني في سير علماء ديوبند) و"فلسفة نماز" (فلسفة الصلوة) و"شأن رسالت" (أمر الرسالة) و"إيك قرآن" (كتاب رباني وحيد) وغيرها من المؤلفات التي يخلد ذكرها على صفحات التاريخ الإسلامي.

المصادر والمراجع

[1] مجلة "حسن تدبير" الفصلية ½ ص 29
[2] المجلة ذاتها، ½ ص 28
[3] المجلة ذاتها، ½ ص 40
[4] المصدر نفسه
[5] المصدر نفسه، ص 211
[6] المصدر نفسه، ص 122